

نفحات القرآن

[64] (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّادًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) (الاسراء / 107 - 108) (فَالْقِيَاسُ السَّحَرَةُ سُجَّادًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه / 70) (وَلَا يَدْعُوا إِلَى الْإِلَهِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَآمَنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) (الحج / 54) (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) (آل عمران / 7) إِنَّ الْعَلَاةَ الْوَتِيقَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَتَصَرِّحُ بِأَنَّ الْأَوْعَى وَالْأَعْلَمُ هُوَ الْأَرْسَخُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ(1). إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَشْهَدُ بِوُضُوحٍ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ إِحْدَى السَّبِيلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانِ الَّذِي يَنْبَغُ مِنْهَا سَيَكُونُ رَاسِخًا جَدًّا وَمَتَجَذِّرًا إِلَى مَسْتَوًى بَحِثٍ نَقْرًا فِي قِصَّةِ السَّحَرَةِ فِي عَصْرِ فِرْعَوْنَ، أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) كَانَ بِسَبَبِ مَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) لَمْ يَكُنْ سِحْرًا، فَمَا كَانَ مِنْ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَنْ هَدَّاهُمْ بِشِدَّةٍ قَائِلًا لَهُمْ: أَتُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ؟! (الطَّغَاةُ يَرِيدُونَ التَّحَكُّمَ حَتَّى يَعْقُولَ النَّاسُ وَإِيْمَانَهُمُ الْقَلْبِي وَفَهْمُهُمْ وَلَا يَتَصَرَّفُ أَحَدٌ بِأَيِّ شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ مَنْهُمْ، وَمَنْ ضَمِنَ مَا جَاءَ مِنْ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ أَنَّهُ قَالَ: سَأَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ. لَكِنْهُمْ كَانُوا بِدَرَجَةٍ مِنَ الصُّمُودِ بَحِثٍ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: _____ 1 - مَا ذَكَرْنَاهُ حَقِيقَةً لَا تَنْكَرُ سِوَاءَ قُلْنَا بِأَنَّ كَلِمَةَ "الرَّاسِخُونَ" مَعْطُوفَةٌ عَلَى "الَّذِينَ"، أَوْ قُلْنَا بِأَنَّهَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الْوَاتِّاقَةُ، لِأَنَّهُ عَلَى كِلَا الْفَرَضَيْنِ، الضَّمِيرُ فِي "يَقُولُونَ" يَرْجِعُ إِلَى "الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" وَبِهِ تَتَضَّحُّ الْعَلَاةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ فِي الْآيَةِ.